تأصيل مصطحات العمارة الإسلامية

(العمارة الدّينية و المدنية أنموذجًا)

The Rooting Islamic architecture terminology
(Religious and civil architecture as a model)

وسام طاهر علي ، أ.د/نصر الدين بوحسين

[1] جامعة البليدة 02 لونيسي علي (الجزائر)، wissemtaharali@gmail.com

[2] جامعة البليدة 02 لونيسي علي (الجزائر)، n.bouhacein@gmail.com

مخبر اللّغة العربية وآدابها – جامعة البليدة 2 – علي لونيسي

تاريخ الارسال 2023/08/01	تاريخ القبول 2023/12/06	تاريخ النشر 2023/12/15

الملخص

تمثل الحضارة الإسلامية مجالا خصبا للبحث في عمارتها وهندسة المباني التي اتخذها المسلمون عبر مختلف العصور ما انعكس الأمر على مصطلحاتها المعمارية التي عرفت بتنوعها وعددها الهائل، فعمدنا في هذه الدراسة إلى تأصيل بعض نماذجها الدينية والمدنية بالتحليل والوصف ومعرفةتطورها عبر التاريخ الإسلامي.

لنستخلص في النهاية أن للمصطلح المعماري الإسلامي مجموعة من المضامين المتنوعة التي تمس الجانب اللغوي والثقافي والفني المتأثر بالحيز المكاني والزماني وبطبيعة ثقافات ولغات الأمم الأعجمية المفتوحة خاصة الفارسية والتركية.

Abstract

The Islamic civilization represents a fertile field for research in its architecture and the engineering of buildings adopted by Muslims throughout the different eras, which was reflected in its architectural terminology, which was known for its diversity and huge number , in this study, , we deliberately rooted some of its religious models and civil models through analysis, description, and knowledge of its development throughout Islamic history.

Let us conclude in the end that the architectural term has a group of diverse implications that affect the linguistic, cultural, and artistic aspects specific to the spatial and temporal

space of Islamic countries, and the nature of the cultures and languages of the foreign nations, especially Persian and Turkish.		
Keywords :Islamic architecture; terms of religious architecture ; terms of civil architecture		**كلمات مفتاحية:** العمارة الإسلامية ،مصطلحات العمارة الدينية ،مصطلحات العمارة المدنية

المؤلف المرسل: وسام طاهر علي ،**الإيميل**:wissemtaharali@gmail.com

1. مقدمة:

يلعب المصطلح المعماري دورا هام في إبراز الجوانب الحضارية للأمة المسلمة، حيث يمثل لغة التواصل المشتركة بين مستخدميه من مهندسين معماريين ومصممين ودارسين له، وهذا لفهم وتكوين مشروع معماري يراعى فيه الضوابط الإسلامية الدينية والمدنية وحتى العسكرية.

والمعروف عن هذا المصطلح تعدده وتنوعه اللغويين اللذين يتوافقان مع الاتساع الجغرافي للأمة الإسلامية التي تمثل البوتقة التي تلاقحت فيها ثقافات الأمم المجاورة لها كالفارسية والتركية، قصد النهل منها بعض المعاني الجديدة للعمارة.

إلا أن المتتبع للمصطلح المعماري الإسلامي سيجد نقصا في الدراسات التي أحاطت بكيفية وضعه ومعرفة الخصوصيات التي تميزه عن باقي المصطلحات المتخصصة ،أو حتى في وضع التصنيفات الخاصة به، والتأريخ له بضبط أصوله اللغوية والاصطلاحية الفنية، ومدى امتداده وتأثيره في الاستعمالات الاصطلاحية الحديثة الموافقة لأسس العمارة الحديثة.

ومن هذا المنطلق سنحاول من خلال هذا البحث الإحاطة تحليلا ووصفا لبعض مصطلحات العمارة الإسلامية بشقيها الديني والمدني ومعرفة أصولها اللغوية والاصطلاحية الفنية وسياقها التاريخي التي سارت على نهجه، مع محاولة الإجابة عن ما يلي:

ماهي المضامين التي يحملها المصطلح المعماري الإسلامي؟ وما هي التطورات الدلالية التي مست المصطلحات المعمارية الإسلامية في جانبيها الديني والمدني؟

ويكمن هدفنا من هذا البحث إظهار الاختلافات التعبيرية بين الباحثين والدارسين لمصطلحات العمارة الإسلامية مع محاولة بناء مرجعية علمية تساهم في فهم التطورات التاريخية في وضع التعاريف الاصطلاحية الفنية لمصطلحات العمارة الإسلامية بنوعيها الديني و المدني.

2. العمارة الإسلامية:

هي العمارة المعبرة عن التاريخ الحضاري للشعوب المسلمة التي سكنت مناطق شتى من العالم ، امتدت جغرافيا من الهند وآسيا الوسطى شرقا إلى الأندلس وبلاد المغرب غربا ، ومن جنوب إيطاليا وصقلية شمالا حتى بلاد اليمن جنوبا ،جامعة لطرز معمارية متفاوتة ومترابطة أحيانا أخرى، منذ القرن السابع الميلادي إلى غاية القرنين الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين أين بلغت مرحلة التطور، لتضعف بعدها في القرن الثامن عشر بسبب التأثر بالفنون الغربية.(1)

ويمكن أن نعتبر أن هوية هذه العمارة هو الدين الإسلامي الذي غيّر الرؤية إلى الواقع وما وراءه بالسعي إلى التناسق بين الجانبين المادي والروحي، وما كان بناء المسجد إلا خير دليل عن ذلك التآزر الذي يسعى إليه الإسلام ممثلا بالعمارة الدينية التي مثلت جوهره والتي تنطلق منها العمارة المدنية والحربية، مع التأثر والتأثير بالمقومات الثقافية والمعمارية للمناطق المفتوحة وبطبيعتها الجغرافية والمناخية وهذا مثل التأثير البيزنطي والساساني في العمارة الإسلامية من خلال بناء القبب و العقود .

وعليه فإنه يمكن حصر العوامل التي ساهمت في تكوين خصائص العمارة الإسلامية إلى ما يلي:

-"البواعث الدينية و النظم السياسية و التشريعية.

-تأثير فنون الحضارات والأمم السابقة والشعوب التي دخلت الدين الإسلامي.

-اختلاف المناخ ومواد البناء و أساليبه في مختلف الأقاليم والبلاد الإسلامية".(2)

3. أنواع العمارة الإسلامية:

- العمارة الدينية:

تمثل عبادة الله عز وجل الأساس في العمارة الإسلامية وما جاء به الدين الإسلامي من تعاليم وأركان سمحة ، عبّر عنها بناء المسجد الذي يعد مكان صلاة المسلمين و عبادتهم، فهو أول شيء بناه المسلمون قبل أن يبنوا القصور أو القلاع أو المدارس ، إلا أن رسالة المسجد لم تقتصر على الجانب الديني فقط بل كان بمثابة مدرسة للعلم والتربية وبرلمان للأمة تعقد فيه الانتخابات (البيعة) للخليفة وتدار فيه الاجتماعات السياسية والعسكرية كما في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالرغم من بساطته.(3)

كما عبرت عن العمارة الدينية منشآت أخرى على غرار المساجد وهي الأضرحة والترب والمقامات والمشاهد التي بها أجداث الأولياء...(4)، أي كل ما يخص الجانب الجنائزي.

- العمارة المدنية:

هي العمارة المعبرة عن حياة البشر اليومية، المتعلقة بدورها الوظيفي والجمالي وهذا من قصور ودور وأسواق وحمامات ومدارس وخانات...يمارس فيها المسلم حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، ويطور فيها حياته نحو أفق حياتي أفضل، ويؤمن من خلالها وسائله المعيشية.(5)

ولتوفير هذه المنشآت المعمارية الخادمة للإنسان والتي تكون في المدينة كان لابد من الاهتمام بعامل الاستقرار الحضري من خلال توفر شرط الماء في سد حاجات الإنسان المعاشية والتخفيف من حدة المناخ...أما الشرط الثاني فهو توفر الأمان من عاديات الطبيعة وعوارضها كالبراكين والزلازل والطوفان، و الشرط الثالث هو تبادل الأشخاص والخدمات والسلع ويكون ذلك في الأسواق و (الدروب)، مع العلم أن المدينة القديمة لا تحوي ساحات لاجتماع الناس بل يكون اجتماعهم في صحن المسجد الذي يستوعب تجمعهم ،مع تكاثف الأسواق بأنواعها حوله، كما يعد الحمام مكان تجمع المسلمين أيضا وهذا بغرض تنظيف أجسامهم تارة وللاهتمام بتوطيد العلاقات الاجتماعية والأواصر بينهم.(6)

4.مصطلحات العمارة الدينية: و هي مقسمة حسب الطبيعة (عبادة وتعليم وجنائز)

أ–مصطلحات عمارة العبادة، عبادة وتعليم : ومن أمثلتها نجد: المسجد ، الجامع، الرباط، الزاوية، المدرسة، الخانقاه، التكية، الصحن، الرحبة، المغطى، السقيفة، المقصورة، البرطال، الرواق، البلاطة، الجناح، الروشن، المنارة، الصومعة، المئذنة، الفسقية، النافورة، الدكة، السده، الميضأة...

ب–مصطلحات عمارة الجنائز: و منها نجد: التربة ، القبر، المقبرة، المدفن، المقام، الحوش، المرقد، المشهد، الروضة، الضريح، اللوح، القبرية...

4–1: المسجد :

لغة:

جاء الإجماع على أن لفظة مسجد: جمع مساجد، هو اسم مكان من سجد، مصلى الجماعة، مكان يصلي الناس فيه جماعة، بيت الصلاةّ، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"جعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً"، وقوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى"(الإسراء:01)، وأيضا قوله "...لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ..."(التوبة: 108)، فنقول سجد الشخص أي وضع جبهته على الأرض خضوعا وتعبداً وهذا في قوله تعالى: "سيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ". (7)

اصطلاحا:

هو مكان العبادة في الإسلام والمخصص للصلوات الخمس، " فهو يعد من الألفاظ الإسلامية التي لم تعرفها الجاهلية، فالاسم و المسمى جاء مع الدين الجديد دالا على مصلى الجماعة، ويعتقد أن المسجد الأول في الإسلام أقيم في قِباء خارج المدينة قبل الهجرة ،بناءً لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم و لكن لم يصل ما يدل على تخطيطه المعماري".(8)

الوصف المعماري :

وجدت المساجد الأولى بأبنية قليلة الارتفاع، بسيطة، واضحة المعالم بعيدة عن التعقيدات وهذا انسجاما مع وضوح الدين وابتعاده عن الغموض مع حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن

يكون المسجد عاديا في بنائه، فالمسجد الأول الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم كان من اللبن وسقفه من الجريد وأعمدته من خشب النخل خالي من الزخارف والزيادات التي ستعتمد فيه فيما بعد، وتظهر بداية تطوره في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي تأثر بكنائس النصارى خاصة منها كنيسة القدس وقبتها الشاهقة، فراح يعمل على مضاهاة تلك الكنيسة في بناء قبة الصخرة. (9)

والمعروف عن المسجد أنه يتكون من أقسام مهمة هي: الصحن، بيت الصلاة، المحراب، المنبر، المئذنة، القبة، المقصورة، السدّة، الميضأة.

4-2: الجامع:

لغة:

هو اسم فاعل من الفعل جمع، والمقصود منه مسجد يصلي فيه المسلمون ويطلق بصفة خاصة على المسجد الذي تصلى فيه الجمعة "كالجامع الأزهر"، والمقصود من لفظة الجامع أيضا اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي جمع الفضائل وحوى المكارم والمآثر ، أما الكلام الجامع فهو ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه، وكتاب جامع، شامل، وأمر جامع: له خطر يجتمع الناس لأجله كقوله تعالى: "وإذا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ "(النور: 62).(10)

اصطلاحا:

جاءت لفظة الجامع كوصف للمسجد الكبير حيث قال هشام بن عمار: "لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده. "(11)

وعليه فالجامع يدل على المسجد الذي تؤدي فيه الجماعة صلاة الجمعة، مع تزويده لوحده بمنبر ،كما يكون عدده قليل في المدن مهما اتسعت وكثر سكانها، فقرطبة لم يكن فيها إلا جامع واحد هو مسجدها الكبير أما المساجد فقد نجد منها في الحي الواحد أربعة أو خمسة. (12)

السياق التاريخي:

أما من ناحية استخدام وتداول لفظة الجامع فكان المسلمون في بداية الأمر لا يفردون كلمة الجامع، وإنما كانوا يقتصرون على كلمة المسجد، ثم أصبحوا يصفونها فيقولون المسجد الجامع أو يضيفونها فيقولون مسجد الجامع إلى أن تم اطلاق لفظة الجامع على المسجد الكبير والذي تصلى فيه الجمعة حتى وإن كان صغير الحجم، كونه يجمع الناس لوقت معلوم.(13)

4–3:المئذنة:

لغة:

المئذنة على وزن مفعلة من الفعل أذّن تجمع على مآذن ومواذن(14)، و هي بالكسر موضعه، أي الأذَان للصّلاة (15)، والأذان هو اسم يقوم مقام الإيذان وهو المصدر الحقيق ي، ومنه قوله تعالى:"وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ"(التوبة: 03)، أي: إعلامٌ(16)، والتأذين مخصوص في النداء إلى الصلاة والإعلام بوقتها، ويقال أيضا للمِئذَنَةُ المنارة كما في الصحاح، و قال أبوزيد الأنصاري: يقال للمنارة: المِئْذنة، والمؤذَنَةُ، و قال اللحياني هي المنارة ، يعني الصّوْمعة، على التشبيه وأمّا قولهم: المِئْذَنَةُ: فلغةٌ عامِّيَّةٌ.(17)

اصطلاحا:

تدل المئذنة في تعريفها الاصطلاحي الفني على المكان الذي يطلق منه الأذان، مع الإشارة إلى أن هذا الموضع يحمل بدوره ثلاث تسميات أخرى تصب في الدلالة نفسها أولها الصومعة وتعرف في المغرب الإسلامي وبعض مناطق اليمن، فهي مشتقة من الفعل صمع وجمعها صوامع وهي المعابد الصغيرة وبيوت الرهبان على الطرق ،فجاءت تشبيها لصومعة الراهب(18) أو للمآذن الأولى في الشام وغيرها التي

جاءت مربعة كأبراج الزهاد(19)، أو تشبيها إلى أبراج المعابد الوثنية أو أبراج الحراسة والمراقبة في القلاع والحصون الرومانية أو أبراج الكنائس المسيحية.(20)

ثانيا" المنارة ، نسبة إلى المنار أو الفنار الذي كانت تشعل فيه النار أو يبعث منه النور بواسطة العدسات أو بوسائل الإشعاع الكهربي لإرسال الإشارات الضوئية ليلا ولعل منار ا لإسكندرية أو فنارها الذي كان – كما يقول المقدسي و ابن جبير–واحدا من عجائب الدنيا السبع هو السبب في هذه التسمية لأن المنارات الإسلامية المبكرة في الشمال الإفريقي ومصر كانت تبنى على غرار هذا المنار من ناحية ، وتتشابه في الوظيفة معه من ناحية أخرى فأولهما يهدي بنوره السفن القادمة إلى الشاطئ في سلامة وأمان وثانيهما يهدي بنوره المسلم إلى الصلاح والإيمان".(21)

ثالثا العساس وهذا بمعنى مكان العس و المراقبة أو الملاحظة كون المآذن لم تكن تستخدم للآذان فقط بل وجدت لغرض الكشف و المراقبة في بعض الأحيان وقد انتشرت هذه التسمية عند بعض أهل المغرب. (22)

الوصف المعماري:

كان يدعى للصلاة في بداية الأمر بدون آذان، إلا أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابي بلال أن يؤذن داعيا للصلاة من أعلى سطح يجاور المسجد، لأن المساجد الأولى في الإسلام كانت بدون مآذن، أو يدعو المؤذن للصلاة من فوق سور المدينة.(23)

فبقي الأمر على هذا الحال إلى أن اتخذت الأبراج الأربعة الموجودة في أركان المعبد الوثني القديم بدمشق كأول مآذن، بعد أن بُني على أنقاضه المسجد الأموي ، فتأثر بها تصميم شكل المآذن في شمال إفريقيا والأندلس فجاءت على شكل أبراج مربعة كما في مسجد القيروان وقرطبة، مع تنوع أشكالها في مختلف بقاع العالم الإسلامي فظهرت عل الشكل الملتوي في العراق، والفنارات في إيران والهند وغيرها.(24)

4–4: الزوايا:

لغة:

زوى الشيء يزْويه زَيّاً وزُوِيًّا فانْزَوى، نحّاه فتَنَحَّى ، و زَواهُ: قبضه، وزَوَيْت الشيء: جمعته وقبضته وفي الحديث الشريف :"إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها"، زُوِيَتْ لي الأرض: جُمِعت(25)، والزاوية: هي صيغة المؤنث لفاعل زوى ، جمع زاويات وزوايا، فنقول هي ركن البناء "زاوية البيت"، وحجر الزّاوية: هو الشيء الأساسي في الأمر أي الجانب المهم في الموضوع، مثل: مسجد غير جامع ليس له منبر، وآلة ذات ضلعين مستقيمين متصلين يحدث اتصالهما زاوية قائمة يستعملها النّجارون و البنّاءون، و هي وجهة أي ناحية "تناول المسألة من زاوية جديدة"، وفي الهندسة هي انفراج حاصل من تلاقي مستقيمين يسمّيان ضلعي الزّاوية.(26)

اصطلاحا:

جاء معنى الزاوية في الأصل معبرا عن ناحية في المسجد يجلس عندها أحد الشيوخ لإلقاء دروسه على طلبته ومريديه كما كان يفعل الإمام الشافعي وغيره، لتطلق بعد ذلك على الأبنية التعليمية التي خصصت لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو أكثر، وهناك من ربط تسميتها في أغلب الظن بالانزواء أي انضمام البعض إلى البعض في حلقة الدرس في مسجد صغير لا مئذنة فيه ولا منبر مع وجود ميضأة وضريح للمنشئ أو أحد الأولياء الصالحين، تقام فيه الصلوات الخمس عدا الجمعة والعيدين.(27)

السياق التاريخي:

ارتبط مصطلح الزاوية مع تسمية الخانقاه والتكية منذ القرن 4هـ/10م أو قبله بقليل وهذا للتعبير عن منشآت التصوف حتى وإن اختلفت الآراء حول تفسير تلك المصطلحات إلا أنه لا يوجد خلاف بينها من حيث الوظيفة التي تؤديها كأمكنة للتعلم تحمل مسجدا مستقلا وترب أحد الأولياء أو مدرسة مع

وجود مجمع سكني... فهي مرادفات لبعضها البعض، فالزاوية هي اللفظة العربية التي أطلقت على هذه المنشآت ،والخانقاه هي اللفظة الفارسية (28) التي تأتي بمعنى البيت(29) ، أما التكِيَّة فهي اللفظة التركية المعبرة على رباط الصوفية(30)، مع العلم أن لفظة التكية قد شاعت في القرنين الأخيرين من العصر العثماني حين انتشر الجهل و الفقر والدروشة... لتصبح تعبيرا عن الكسل و البطالة و التواكل وغيرها من الأمور التي لا يقرها الدين الإسلامي.(31)

ووردت أيضا لفظ زاوية وزوايا في وثائق العصر المملوكي لتعبر على قطعة خشب مزخرفة على شكل مثلث توضع كحلية بأركان السقف أو أن تدل على قطع خشبية توضع عند انحناء الدرابزين.(32)

4-5:القبة:

لغة:

القبُّ و القبَبُ: دقَّةُ الخصر وضمور البطن ولحوقه، والأقَبُّ: الضامر البطن وفي الحديث الشريف : "خير الناس القبِّيُّون "، فسئل عنه ثعلب فقال: "إن صحّ فهم القوم الذين يسردون الصوم حتى تضمر بطونهم"، وقال بعضهم: قَبَّ بطن الفَرس، فهو أقَبُّ، إذا لحقت خاصرتاه بحالبيه، وقبَّ الشيء وقبَّبهُ: جمع أطرافه(33)، و"القُبَّةُ: من البنيان معروفة وتطلق على البيت المدَوَّرِ وهو معروف عند التُركمان والأكراد ويُسمى الخرْقَاهَةَ والجمع قِبَابٌ"(34)، وبيت مُقَبَّبٌ أي جُعِلَ فوقه قُبَّةٌ، والقُبَّة من الخيام بيتٌ صغير مستدير، وهو من بيوت العرب.(35)

اصطلاحا:

تدل القبة على "بناء محدوب أشبه بكرة مشطورة من وسطها، أو بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج يتألف من دوران قوس على محور عمودي ليصبح نصف كرة تقريبا يأخذ مقطعها شكل القوس، وتقام مباشرة فوق مسطح أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية ،أو على حنايا ركنية أو مثلثات

كروية أو مقرنصات لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثمن ثم الدائرة ، وقد تكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف كروية أو بصلية أو مخروطية أو مضلعة".(36)

السياق التاريخي:

جاءت لفظة القبة مرادفة في البناء الإسلامي لكلمة تربة و مدفن وضريح لأنها استعملت في تغطية المدافن بعد ظهور الإسلام بفترة طويلة، كون هذا الأمر يتعارض مع الأحاديث النبوية الشريفة(37)، مع العلم أن توظيفها لم يكن إلا ما بعد الفتح الإسلامي للبلاد المحيطة بشبه الجزيرة العربية ،وكذلك الاحتكاك بالحضارات في بلاد ما بين النهرين و بالعمارة المسيحية الشرقية والعمارة القبطية في مصر، وأن ما وجد قبل الإسلام عند العرب لم يكن إلا خيم بشكل قباب، و تعد قبة الصخرة أول قبة في الإسلام جاءت متأثرة عند إنشائها بقبة كنيسة القبر المقدس سنة 335م، لتوجد بعد ذلك القباب في المساجد أمام المحراب فنراها في الجزء الأوسط من الرواق العرضي أمام المحراب بالجامع الأموي سنة 705م وفي المسجد الأقصى بعد إعادة بنائه في عهد الخليفة المهدي سنة 780م وغيرها من الأمثلة.(38)

وقد وردت أيضا لفظة قبب جمع قبة في الوثائق المملوكية لوصف نوع من المسامير فيقال : "مسامير قبب"، والمقصود مسامير حديد رؤوسها على شكل قبة تستخدم كنوع من الزخرفة للأبواب أو لغرض تقويتها ، كما أطلقت اللفظة على قطع من النحاس على شكل مسامير قبب كحلية على الأبواب بصيغة: "زوجا باب مغلفان بنحاس ضرب خيط قبب"، أو ترد لوصف بعض السقوف فيقال: "مسقف قبب".(39)

5. مصطلحات العمارة المدنية: ومن أمثلتها نجد: الدار ، البيت، الربع، الجوسق، القصر، الرواق، الإيوان، القاعة، الجناح، البركه، الفسقية، المشور، المسلخ، الموقد، البيمارستان، مكتب السبيل، الخان، القيسارية، البازار، السوق، الحانوت، الدكان، الشاذروانات، ، المارستان، الباذاهنج ...

5-1: البيمارستان:

لغة:

جاءت اللفظة بتسميتين هما البيمارستان والمارستان ، فقيل في المصباح المنير "مَرَسْتُ التمر مرساً من باب قتل، دلكْته في الماء حتى تتَحلَّلَ أَجْزاؤُه ،والمارستان قيل فاعلتان معرَّبٌ ومعناه بيت المرْضى والجمع مارستاناتٌ وقيل لم يسمع في الكلام القديم".(40)

وهي في الأصل كلمة فارسية ذات مقطعين أولهما بيمار بمعنى مريض أو ضعيف أو عليل وثانيهما ستان بمعنى بيت أو دار أو محل ، فيكون المعنى العام لهذه اللفظة هو بيت المرضى أو دار المرض التي تعرف اليوم بالمستشفى.(41)

اصطلاحا:

أطلقت هذه اللفظة على المستشفيات في العصور المعمارية الإسلامية ، ثم اقتصر إطلاقها على مصح الأمراض العقلية بعد أن تطور مفهوم المستشفى وشكله، وذلك في العصور المتأخرة باللهجة العامية "المارستان".(42)

الوصف المعماري:

يعتقد أن أول من بنى البيمارستان هو الوليد بن عبد الملك عام88 هـ/707م بدون أن يبرز له نماذج واضحة مقارنة بعهد المماليك الذي جاءت مخططاته شبيهة بطراز المدرسة ذات الصحن والإيوانات، فكانت وظيفته صحية إنسانية وتعليمية في وقت واحد ،تلحق به حمامات للرجال والنساء وقاعات متعددة الاستعمالات ومصلى ومرافق أخرى، مع التحاق طلاب يتدربون على أيدي الأطباء في الكبير منه، وتخصيص لكل مرض جناح مستقل حتى الأمراض العصبية كان لها مارستاناتها الخاصة.(43)

5-2:مسلخ:

لغة:

يقال سلخ الشهر: مضى، وسلخ الجلد: كشطه ونزعه عن اللحم، سلخ فلانا: آذاه بالكلام، سلخ ثيابه: نزعها وخلعها، سلخ الله الليل من النهار: استلَّه، كشفه وفصله وهذا في قوله تعالى: "وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ"(يس: 37)، والمسلخ: جمع مسالخ: اسم مكان من سلخ : سلخانة (مسلخ خراف،مسلخ حكومي)، فالسلْخانة أو السَلَخانة : مكان ذبح الماشية وسلخ الجلود(44)، ويمكن اعتبار المسلخ موضع سلخ الجلد(45) دون القيام بعملية الذبح.

اصطلاحا:

المقصود من لفظة مسلخ في الاصطلاح المعماري هو مكان خلع الملابس بالحمام إذ يعتبر وحدة معمارية أساسية في تكوين الحمام فهو قاعة استقبال فخمة بالحمام، بها عواميد رخام وفسقية في الوسط تعلوها قبة أو جملون أو سقف مزخرف بشتى الزخارف ويحيط بالمكان مقاطع أي مقصورات قد تكون من طابقين ، كما يرد أحيانا بالحمام (مقعد غنائي)، حيث كان بعض كبار القوم يصطحبون المغنيين والعازفين إلى الحمام معهم في المناسبات السعيدة مثل الأفراح وغيره.(46)

الوصف المعماري:

جاء للمسلخ عدة أوصاف في وثائق العصر المملوكي منها "مسلخ به مساطب ومقاطع دائرة وفسقية" وكذلك "دهليز يتوصل منه إلى مسلخ الحمام وبه مساطب دائرية ومقاطع وهو مسقف جملون"، والمقصود من هذه الصيغ مقصورات أو حجرات أو خلوات صغيرة بمسلخ الحمام لكي يستريح فيها الخاصة وأهل اليسار، تتكون عادة من طابق واحد أو طابقين يصعد إليها بسلم من المسلخ أو بسلم منفصل وأحيانا ما يتم الفصل بين هذه المقاطع بواسطة فواصل خشبية.(47)

5-3: مزملة:

لغة:

زمل فلانا زمْلاً: عادله وأردفه، تبعه والشيء: رفعه وحَملهُ فهو مزمولٌ، وزَميلٌ ، تزمَّل: تلفَّف وتغطَّى ويقال ازَّمَّل أيضا فهو مُزّمِّلٌ وهذا في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا"(المزمل: 02)، وزامله: عادله على البعير وغيره، ومنه يقال: زاملهُ في العمل، والأزْمل: كل صوت مختلط فيقال: سمعت أزْمَل القوس: رنينها، جمع أزامل، وأزاميلُ، و الزُّمَلُ: الضعيف الجبان الرَّذلُ، والزُّمْلةُ: الرُّفقة أو الجماعة، والزّميل: الرفيق في العمل أو السفر، والرديف الحاصل على درجة الزّمالَةِ أي درجة علميَّةٌ، و المزَمَّلَةُ: جرَّةٌ خضراء يبرَّد فيها الماء.(48)

اصطلاحا:

تدل لفظة المزملة في الأصل على قدر أو جرة من الفخار كانت تكسى أو تلف أو تزمل بالقماش المبلول لحفظ الماء فيها باردا بغير تعفن ثم أطلقت بعد ذلك على مكان وضع هذه القدور أو الجرار، ومنها جاءت تسمية المزملاتي الذي كان يقوم على خدمة تسبيل الماء في السبيل للسيارة بواسطة كيزان من نحاس كانت تربط في شبابيك التسبيل بسلاسل معدنية.(49)

الوصف المعماري:

تكون المزملة عادة بأحد جانبي الدهاليز المؤدية للصحن أو الميضأة في المدارس والمساجد والخانقاوات والكتاتيب، أو حتى بدهليز القاعات فتغشى واجهة المزملة عادة بخركاة من الخشب الخرط(50)، ومن أوصافها المذكورة في الوثائق المملوكية: ""مزملة مفروشة بالرخام بواجهة خشب خرط مأموني" ومزملة بواجهة خركاه برسم الأزيار"، "مزملة بمقصورة خشب خرط مأموني يغلق عليها باب"، "مزملة يعلوها منور سماوي" و"مزملة بباب نسيم سماوي وباب مربع" إلى غير ذلك من الصيغ التي تشترك

في كونها دخلة ذات واجهة من خشب الخرط المأموني الواسع غالبا تتوسطها فتحة باب وعادة ما كان يعلوها منور سماوي لجلب الهواء اللازم لتبريد أزيار الماء فيها".(51)

السياق التاريخي:

تحمل المزملة تسميات أخرى وهي المزيرة وبيت الأزيار ،التي تشترك في نفس الهدف والمعنى وهو مكان حفظ القدور وجرار الماء من العفن ودرجة الحرارة المرتفعة ، إلا أن كل واحدة منها تعود إلى مرجعية معينة، فالمزملة مثلا نسبة إلى الفعل زمل تزمَّل أي الملفوف أو المدثر بمعنى تزميل أزيار أو جرار الماء بقماش مبلول ليبقى الماء رطبا، في حين المزيرة نسبة إلى الزير وهو وعاء كبير من الفخار يوضع فيه الماء للشرب ، أما بيت الأزيار فقد عبرت في وثائق العصر المملوكي على المكان الذي توضع فيه أزيار الماء للشرب فانتشر استخدام لفظة المزملة في وثائق العمارة الإسلامية الوسيطة ، بينما غلب توظيف لفظة المزيرة وبيت الأزيار في وثائق العمارة الإسلامية المتأخرة .(52)

5–4: الخان:

لغة:

خانَ الشيءَ، خوناً وخيانةً ومَخَانةً، نقصه، وخان الأمانة: لم يؤدِّها أو بعضها، وخان فلانا: غدر به وخان النصيحة: لم يُخْلِص فيها، وخانه الدّهر: غير حاله من اللي ن إلى الشدة، وخانته عينه: نظر نظرة مريبة أو مختلسة فهو خائنٌ وخائنةٌ(53)، و "الخان: لفظة فارسية وتركية، بمعنى الأمير والسيد ولقب سلاطين تركستان ، خان أي منزل ، تحريف حانوت الآرامي وهو مشتق من حَنَه العبراني الذي معناه خيَّم أي نصب الخيام وأقام ونزل وحلَّ وجيَّش ومنه حانوت أي خمارة ودكان ومنزل القوم".(54)

اصطلاحا:

تطلق لفظة الخان على مكان مبيت المسافرين وكذلك على الحانوت والدكان أو هي "عبارة عن نزل للاستراحة على طرق القوافل المختلفة بين المدن أو عند مداخل أسوارها".(55)

السياق التاريخي:

يرجح التطور التاريخي لمصطلح الخان الذي شاع في عمارة العصرين المملوكي والعثماني إلى لفظة الدار التي أطلقت في البداية على منازل المسافرين في كل من سوريا والعراق خلال القرن 5هـ/11م ثم إلى لفظة دار الوكالة التي ترادفت مع سراي القوافل خلال القرن 6هـ/12م ثم إلى كلمتي الفندق والقيسارية اللتين شاعتا خلال القرن 7هـ/13م، حتى حلت لفظة الخان محل كل الكلمات السابقة على أبنية المسافرين سنة 610هـ/1213م.(56)

وهناك من وضع لفظتي الخانات والفنادق والوكايل تحت باب واحد كالمقريزي لأنها تتشابه من حيث المباني ومن حيث الغرض والاستعمال. (57)

الوصف المعماري:

يعود ازدهار بناء الخانات في العصر الإسلامي إلى القرن 7هـ/13م وهذا في كل من سوريا و إيران و الأناضول ،وغالبا ما كان محيط كل منها يتحول إلى مناطق جذب عمراني كبير ببناء الحوانيت والمنازل وغيرها ،مثل خان العسل في سوريا وخان يونس في فلسطين(58)، فتألف التخطيط المعماري العام للخان العربي الإسلامي من صحن واسع تتوسطه بركة ماء كبيرة ومستودعات ومخازن وحوانيت مفتوحة على الصحن لإيداع البضائع وفي الطوابق العليا غرف للسكن تقوم فوق المستودعات. (59)

6.خاتمة:

اختزلت العمارة الإسلامية القيم والأفكار التي يحملها الدين الإسلامي من خلال عمارتها الدينية التي تهتم ببناء المساجد مع محاولة تطوير خصائصها الهندسية والجمالية عبر العصور الإسلامية، والاهتمام أيضا بالعمارة المدنية التي تراعي توفير الأمان والاستقرار والتبادل التجاري الذي يكون في إطار المدينة.

فتنوع العمارة الإسلامية في طرزها وهندستها وفنياتها في الجانب الديني والمدني قد أفرز لنا عددا هائلا من المصطلحات التي حاولنا في هذه الدراسة تتبع أصالتها عن طريق البعد اللغوي والاصطلاحي الفني والسياق التاريخي والصفات المعمارية لبعضها، لنجد من يحمل منها تأصيلا عربيا يستند بدوره على عدة مسميات تختلف أصولها اللغوية والاصطلاحية كمصطلح الزوايا ال ذي يحمل مسمى الخان قاه والتكية ومصطلح القبة الذي يحمل مسمى التربة والدفن والضريح ، وهناك من يحمل تأصيلا أعجميا كمصطلح البيمارستان والخان اللذان يعودا إلى اللغة الفارسية والتركية ولنوضح هذا الأمر أقمنا هذا الجدول الذي يحدد التأصيل العربي والأجنبي وبعض المسميات التي تقابل مصطلحات العمارة الدينية والمدنية:

التأصيل العربي	تسميات أخرى للمصطلح	التأصيل الأعجمي	تسميات أخرى للمصطلح
المسجد	الجامع	**البيمارستان**	المارستان، مستشفى
الجامع	المسجد	**الخان**	دار الوكالة، سراي القوافل، الفندق، القيسارية، حانوت،الدكان
المئذنة	الصومعة، المنار أو الفنار، العساس		
الزوايا	الخانقاه، التكية		
القبة	التربة، المدفن، الضريح		
مسلخ			
مزملة	المزيرة، بيت الأزيار		

و بهذا التتبع في معرفة الجوانب المؤسسة والضابطة لأصول مصطلحات العمارة الإسلامية بشقيها الديني والمدني أوجدنا الاستنتاجات الآتية:

-اهتمام العمارة الإسلامية بالجانب الديني واعتباره المرجع الأساسي لها مع بقية الأنواع المعمارية الأخرى.

-احتفاظ بعض مسميات العمارة الإسلامية بنفس مسمياتها في اللغة الفارسية والتركية .

-استيعاب العمارة الإسلامية لكم هائل من المصطلحات التي تعبر عنها .

-تحمل مصطلحات العمارة الإسلامية مجموعة من المضامين اللغوية والتاريخية والفنية والثقافية المتنوعة.

- وجود علاقة متكاملة أحيانا بين المدلول اللغوي والاصطلاحي الفني لمصطلحات العمارة ا لإسلامية بشقيها الديني والمدني.

-وجود مسميات عديدة للمصطلح المعماري الواحد مع اختلاف المرجعية اللغوية والاصطلاحية الفنية لها.

-التأكيد على أن عملية تداول مسميات العنصر المعماري الواحد تتأثر بالجانب المكاني والزماني كمنطقة المغرب العربي و المشرق ومثل الفترة الإسلامية الأولى والمتأخرة .

-الجمع بين عدة مسميات لمقابل مفهوم اصطلاحي واحد للمصطلح المعماري الديني والمدني.

قائمة المراجع:

1- سامح كمال الدين 2000، العمارة الإسلامية في مصر، دار نهضة الشرق، مصر، ط1، ، ص: 05

2- فارس المالكي قبيلة 2011 ، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج ، الأردن، (د.ط)، ،ص: 149، 150

3-السراج حسان فائز 2020، أروقة العمارة فن و جمال و حضارة، مطبوعات Kie Publications، إصدار إلكتروني، فبراير، ص:98

4-أحمد قاجة جمعة 2000، موسوعة فن العمارة الإسلامية ، دار الملتقى، بيروت، لبنان، دار الحصاد، دمشق،سوريا، ط1، ص:43

5-المرجع نفسه، ص:43

6-البهنسي عفيف 1998،الفن الإسلامي، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط2، ص: 121، 122

7- مختار عمر أحمد ، بمساعدة فريق عمل 2008، معجم اللغة العربية المعاصرة،المجلد الأول، عالم الكتب، مصر، ط 1، مادة سجد، ص:1034

8- أحمد قاجة جمعة: موسوعة فن العمارة الإسلامية، ص:44

9- فرحات يوسف1993، المساجد التاريخية الكبرى، دار الشمال ، طرابلس، لبنان، ط1، ص:07

10-مختار عمر أحمد ،بمساعدة فريق عمل2008، معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الأول، مادة جامع/جامعة، ص:394، 395

11- ماهر سعاد1987: مساجد في السيرة النبوية، دار الكتب، مصر، (د.ط)، ص:14

12- أحمد قاجة جمعة: موسوعة فن العمارة الإسلامية، ص:45

13- عبد الوهاب حسن 2014 ،تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها الجمعة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول (الجزء الأول)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، (د.ط)، ص: 11

14- كليب صالح لطفي سعيد ، القاضي لطفي شوكت محمد ،مرغني عزت عبد المنعم 2018، تطور عمارة المآذن في اليمن و مصر (من عصر صد الإسلام حتى العصر العثماني) دراسة تحليلية مقارنة، journal of engineering sciences Assiut University,vol46,no06، 06 سبتمبر ، ص: 708

15- مرتضى الحسيني الزبيدي محمد 2001: تاج العروس من جواهر القاموس(الجزء 34) ، تحقيق: علي هلالي، مراجعة: مصطفى حجازي، عبد الحميد طلب، خالد عبد الكريم جمعة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، مادة :أذن، ص: 167

16-المرجع نفسه، ص: 166

17-المرجع نفسه، ص: 167، 168

18- كليب صالح لطفي سعيد ، القاضي لطفي شوكت محمد ، مرغني عزت عبد المنعم: تطور عمارة المآذن في اليمن و مصر (من عصر صد الإسلام حتى العصر العثماني) دراسة تحليلية مقارنة، ص: 708

19- محمد حسن زكي 1948: فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط1،ص: 144

20- محمد رزق عاصم 2000، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، ص: 307

21-المرجع نفسه، ص: 307

22- محمد حسن زكي: فنون الإسلام، ص: 144

23-المرجع نفسه، ص:144

24- سامح كمال الدين(د.ت)، العمارة الإسلامية في مصر، إشراف: إدارة الثقافة العامة، وزارة التربية و التعليم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص: 183

25- ابن منظور (د.ت): لسان العرب (الجزء14)، دار صادر، بيروت، لبنان،مادة زوي، ص: 363

26- مختار عمر أحمد ، بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الأول، مادة زانة/زوي، ص:1012

27 – محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص: 128

28- الحداد محمد حمزة اسماعيل 2002: العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية (المجلد الأول)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، (د.ط)، ص:229

29- أحمد قاجة جمعة: موسوعة فن العمارة الإسلامية، ص:11

30- مجمع اللغة العربية2004: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4،مادة: تفل، ص: 86

31- الحداد محمد حمزة اسماعيل 2002: العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية (المجلد الأول)، ص: 229

32- محمد أمين محمد ، علي إبراهيم ليلى 1990: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، مصر، ط1، ص: 59

33- ابن منظور: لسان العرب (الجزء01)، مادة:قبب، ص:، 658، 659

34- المقري الفيومي أحمد بن محمد بن علي (د.ت): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط2،ص:487

35- ابن منظور: لسان العرب (الجزء01)، مادة:قبب، ص: 659

36- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص:222

37- لمعي مصطفى صالح (د.ت)، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ص: 23

38-المرجع نفسه، ص: 19

39- أمين محمد محمد، علي إبراهيم ليلى: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص:88

40- المقري الفيومي أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، مادة: مرض، ص:568

41- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص:41

42- أحمد قاجة جمعة: موسوعة فن العمارة الإسلامية، ص:148

43-المرجع نفسه،ص: 148

44- مختار عمر أحمد ، بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الأول، مادة:سلخ، ص:1091

45- المقري الفيومي أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي،مادة: سلخ، ص:284

46- أمين محمد محمد ، علي إبراهيم ليلى: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية،ص: 107

47- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص:285

48- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة: زمل ، ص: 400، 401

49- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص:279

50- محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية،ص:104

51- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص:279

52-المرجع نفسه، ص: 279، 280

53- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة: خان، ص: 263

54- العنيسي الحلبي اللبناني طوبيا 1932: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، تصحيح، تعليق، نشر: يوسف توما البستاني، مكتبة العرب، مصر، ط2،ص: 23

55- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص:91

56-المرجع نفسه، ص: 91، 92

57- أمين محمد محمد ، علي إبراهيم ليلى: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية،ص:39

58- محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، ص:91

59- أحمد قاجة جمعة: موسوعة فن العمارة الإسلامية، ص:157، 158